

## منبع القوة الصينية

عامر محسن

مضمونة وأمنة للاحتفاظ بالدولار على المدى الطويل. ولكن، في السنوات العشر الماضية، قُصرت بكين ألا تقصر اعتمادها على السندات الحكومية التي تصدرها واشنطن، وبدأت بتنوع منافذ استثماراتها. لم تقم الصين ببيع وتقليص حصتها من السندات - كما فعلت روسيا - وهي لا تزال أكبر زبون لسندات الخزنة الأميركية، ولكن هذه الحصّة قد توقّفت عن التوسع.

بين عامي 2010 و2011، وصل الاستثمار الصيني في الدين الحكومي الأميركي إلى ما يقارب 1,3 تريليون دولار، وهي قمة لم يتم تجاوزها منذ ذلك الحين، بينما ارتفعت الفوائض المالية الصينية - في الفترة نفسها - من 3 إلى 4 تريليونات دولار. الاستثمار الصيني في السندات الأميركية ثابت إذاً، فيما الاحتياطات المالية تتزايد، فماذا تفعل الصين بهذه الدولارات المتركمة؟

في المبدأ، هناك وسائل لتنوع الاحتياطات، كأن تحوّل جزءاً منها إلى سبائك ذهبية، وهو ما فعلته الصين، إذ رفعت احتياطاتها الرسمية من أقل من 500 طن عام 2001 إلى آلاف الأطنان اليوم، وبإمكانك أيضاً أن تشتري سندات بعملة غير الدولار، كاليورو والين، وهو ما تفعله الصين أيضاً بكثافة، أو أن تحوّل هذه الأرصدة إلى شركات وصناديق «سيادية» تقوم باستثمارات واستملاكات في الأسواق العالمية، والصين أنشأت عدة شركات لهذا الغرض (كشركة الاستثمارات الصينية وشركة SAFE للاستثمار)، وهي مؤسسات لا نسمع عنها كثيراً في الإعلام، إلا أن قيمة محافظها الاستثمارية أكبر بكثير من أي صندوق سيادي خليجي.

غير أن هذه الأدوات، مجتمعة، لا تكفي إلا لاستثمار قسط متواضع من الاحتياطات الصينية المتزايدة، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء مصارف الاستثمار. إن كانت الصين تملك احتياطات أجنبية كبيرة، وتبحث عن منفذ لاستثمارها، فلماذا لا تؤسس مصرفاً؟ وإن كان النظام المالي العالمي، بهندسته التي أقرتها أميركا إثر الحرب العالمية الثانية، لا يعطي بكين مكانها المستحق في مؤسساته، كالبنك الدولي وصندوق النقد، فلماذا لا تنشئ الصين نظاماً موازياً؟

دخول الصين إلى سوق التمويل الدولية هو نتيجة طبيعية لاستحواذها على نسبة متزايدة من رأس المال العالمي. وانضمام دول غربية إلى هذه المؤسسات هو اعتراف منها بهذه القدرة الصينية التي لن تزول قريباً، بل ستتعاظم. أمّا خيبة أميركا من خيار حلفائها، فهو لا يعكس مجرد هزيمة دبلوماسية كما تقول التقارير، ولا هو نتيجة شعور بالتخلي و«الخيانة»، بل لأن هذه التغييرات قد تمسّ الأساس الجوهري للقوة الأميركية، وقد تكون لها مضاعفات قاتلة على الاقتصاد الوطني وأسلوب الحياة الأميركي، إذ إنها تهدد هيمنة الدولار في العالم والطلب غير المحدود عليه - وهذه قصة أخرى.

بنيت الكثير من التحليلات مؤخراً على دخول حلفاء أميركيين لصقحاء (بريطانيا، ثم تبعها ألمانيا وفرنسا وإيطاليا) كأعضاء مؤسسين في مصرفٍ دولي جديد تقوده الصين، «البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية». ويتوقّع أن تنضمّ كوريا الجنوبية وأستراليا ودول أخرى أيضاً إلى المصرف الذي يبلغ رأسماله 100 مليار دولار - تقدّم الصين نصفها - قبل نهاية الشهر وانقضاء المدة المحددة لاستقبال شركاء جدد.

وكما أوضح العديد من المعلقين، فإنّ هذا المصرف ليس أوّل أو آخر تدخّل للصين في السوق المالية العالمية؛ فالصين تخطط لمصارف استثمار إقليمية ودولية لا تقل أهمية عن «البنك الآسيوي»، وهي صارت، بالفعل، مصدراً لإقراض الحكومات التي لا تتوافق مع النظام المالي العالمي (فنزويلا كانت، بالتأكيد، ستواجه الإفلاس لولا أكثر من 50 مليار دولار من القروض الصينية، زادت خمسة في الأسابيع الماضية، والأمر ذاته ينطبق على الأرجنتين).

مصدر هذه القوة ليس قراراً سياسياً من بكين، ولا خطة عشرية لتحدي النفوذ الأميركي، بل هو يتعلّق بطبيعة السوق الرأسمالية واندماج الصين فيها. كل هذه الاستثمارات الصينية في الخارج هي، فعلياً، منافذ لتوظيف احتياطات العملة التي يكدّسها المصرف المركزي. يراكم «المصرف الشعبي الصيني» كميات هائلة من الدولارات، وهذا الاحتياطي هو - بتبسيط - مكوّن من الفارق بين كمية الدولارات التي يبيعها الأجانب للمصرف المركزي من أجل شراء بضائع صينية مستوردة أو الاستثمار في البلد، وكمية الدولارات التي يطلبها التجار والشركات في الصين لشراء بضائع أجنبية والاستثمار في أسواق خارجية. الفائض التجاري الصيني الكبير في العقود الأخيرة أدى إلى بناء رصيدٍ بالعملة الأجنبية يقارب اليوم أربعة تريليونات دولار (أربعة آلاف مليار دولار).

وجود فائض مالي هو أمرٌ جيّد، لكنّه يطرح سؤالاً حول كيفية استثماره حين يزيد حجمه عن حدٍّ معيّن؛ فهو أرصدة بعملة أجنبية، ويجب أن يبقى أكثره خارج الاقتصاد، فاستثماره في الداخل - أي تحويله إلى العملة المحلية - سيؤدي إلى اهتزازات في قيمة العملة ومعدل التضخم، وقد يؤدي تنافسية الصناعات والاقتصاد الوطني (يدّعي الأميركيون أن الصين تتقصد الإبقاء على ال«ريمينيبي» دون قيمته الفعلية بمثل هذه الوسائل). فماذا تفعل بهذه الأرصدة الضخمة، وأين تودعها، وكيف تضمن أن تحافظ على قيمتها؟

حتى أوائل الألفية الثالثة، كانت الصين تحتفظ بجزء احتياطاتها المالية على شكل سندات خزينة أميركية، كما تفعل الكثير من الدول التي تحوّل احتياطاتها إلى قروض للدولة الأميركية، وهي تعتبر وسيلة أذخار



لم يختر أي من رؤساء ما بعد اتفاق الطائف قائد الجيش (هيلم الموسوي)

بناء على اقتراح قائد الجيش. مع ذلك نُظر باستمرار إلى أن مدير المخابرات - كما في ما مضى المدير العام للامن العام - على أنه رجل رئيس الجمهورية الذي يختاره بالتوافق مع قائد الجيش، الذي يكون الرئيس بدوره قد اختاره قبلاً، بغية تنسيق التواصل بين الرئيس والقائد. درجت هذه القاعدة طويلاً حتى اطاحها اتفاق الطائف مرتين على التوالي: في ظل وجود سوريا في لبنان، ثم بعد

جلاء جيشها. لم يعد الرجلان حقاً رجلي الرئيس، بل المعادلة السياسية. لم يعد قائد الجيش بالذات رجل الرئيس. كشفت ذلك في عقد ونصف عقد من الزمن العلاقة المتوترة بين الهراوي ولحدود، ولحدود وسليمان، وسليمان وقهوجي.

الأحرى أن يكون الأمر كذلك بين رئيس يوشك على انتهاء الولاية، وقائد للجيش يرشح نفسه كي يخلفه. فكيف إذا كان يسابق الشغور؟

ورخيصة. وأخيراً يهّم المكتب الإعلامي التأكيد أن سركيس سركيس يساعد جمعيات وكنائس وناوادي ومحتاجين ومن كل الطوائف، غير أنه يرفض الاستفزاز وسيكون للقضاء الكلمة الفصل.

رد المهرز: تأسف «الأخبار» لإشارة المكتب الإعلامي للسيد سركيس سركيس إلى وجود «مغالطات كثيرة» في المقال الذي نشرته على غلافها أمس، من دون أن يحدد ماهية المغالطات ويصححها. وتؤكد «الأخبار» كل ما يقوله «المكتب الإعلامي» بشأن نفوذ سركيس في تجارة الدخان ووصوله إلى هذا الموقع نتيجة «جهد فردي وتوفيق من الله»، كذلك يسرها

تأكيد كل ما أورده التقرير، سواء عن «تعاطي الآخرين الانتخابي معه» أو سعيه لمساعدة «من يستحق المساعدة سواء في الكنائس أو الجمعيات»، أما في الموضوع القضائي، فيهمّ «الأخبار» التأكيد أن التقرير تحدث عن اثنين من عدة دعاوى قضائية تتعلق بسركيس وشقيقه، ولا علاقة له «الأخبار» من قريب أو بعيد بقول سركيس إن هناك من «يتهمه كذباً لمارب باتت مكشوفة ورخيصة»، بل «الأخبار» لم تتهمه بشيء، بل المدعي العام المالي القاضي علي إبراهيم.

وتنشر «الأخبار» اليوم الصفحة الأولى في كل واحد من الملفين القضائيين اللذين ذكرتهما أمس.



السبت 08:40 PM